

الحالة الثالثة

د. محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

فى علم الكمبيوتر توجد حالتان حالة واحد وحالة صفر ولكن توجد أحيانا حالة ثالثة تسمى حالة عدم الاكتراث Don't Care أى ليس هناك فارق إذا اعتبرتها واحدا أو صفرا فلن يغير ذلك من النتيجة فى شىء . لقد أصبح حال كثير من المصريين الآن هى الحالة الثالثة . وأخطر ما يصيب أمة هذه الحالة من اللامبالاة Apathy والظاهرة عامة فى كافة المجالات وتعانى منها كثير من القيادات الحكومية الوسيطة فيقال لا أحد يريد أن يعمل من نفسه . إننا بحاجة إلى محللين نفسيين لتفسير هذه الظاهرة وأعراضها الإحباط والتراخي وعدم الاكتراث وعدم الاهتمام بالعمل وفقدان الشهية للسعى والإنجاز . قد يرجع البعض ذلك للظروف الاقتصادية والاجتماعية التى يعيشها الناس وحالة الفقر والبطالة وتأخر سن الزواج وغموض المستقبل وخاصة بالنسبة للشباب . إننا نعيش فترة تشبه فترة الركود الأمريكى Recession حتى تعذرت الوظائف وحدث كساد اقتصادى ولكن خرجت منه أمريكا كأكبر قوة اقتصادية وعسكرية فى العالم حين أدرك الناس أن السبيل الوحيد للخروج من هذا الكساد هو الإنتاج والعمل الجاد والتصدير . لن يمد أحد يده ليعيننا لابد من الاعتماد على النفس والانطلاق بروح جديدة تحى النفوس . لاشك أن الانتقال الفجائى من النظام الاشتراكى إلى النظام شبه الرأسمالى السائد حاليا سبب صدمة وتداعيات وخاصة فى الطبقتين الفقيرة والمتوسطة . ورغم كل المحاولات التى قد تكون بذلت للتخفيف من هذه الصدمة مثل الدعم وخلافه لكن المطرقة كانت شديدة الطرق على أغلب الناس وأصبح من الصعب عليهم أن يروا أو يشعروا بأى إنجازات اقتصادية قد تذكر هنا أو هناك . الأمر الغائب أن التقدم لن يتحقق إلا بواسطة الإنسان المصرى وجموع القاعدة الشعبية Grass root وهذا يتطلب ثقافة جديدة مؤداها أن الشعب هو الذى يصنع التقدم . لا يمكن أن ينتظر الشعب أن يقدم له التقدم جاهزا على طبق من فضة . كان هناك خيال واسع أن بعد اتفاقية السلام ستأتى أمريكا بالمصانع والمزارع ويتدفق الخير ويتحقق الرخاء . واكتشف الكل أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . نعم استنقاد بعض الأفراد من عملية الانفتاح الفجائى ولكن لم يتحقق هذا الرخاء المنشود على مستوى القاعدة الجماهيرية . ثم حملت الدولة القطاع الخاص مهمة قيادة التقدم الاقتصادى . ولم يصل ذلك إلى المستوى المنشود . لأن القطاع الخاص لم يتحرك نحو الاستثمار الصناعى الجاد إلا فى حالات معدودة . هناك فرق بين رجال الأعمال Businessmen ورجال الصناعة Industrialists وأى بلد يريد أن ينهض يحتاج إلى رجال الصناعة أكثر من رجال الأعمال . فالصناعة هى التى تفتح فرص العمل وأمامها فرصة

التصدير وغزو الأسواق . لقد أصبح التنافس العالمي على الأسواق شديدا نظرا لتعدد مراكز الإنتاج المتنافسة على المستوى العالمي ونظرا للتفاني في الإتقان الذى ميز هذا التنافس ومن ثم فقد أصبح المجال ضيقا أمام الدول التى فاتها القطار . ليس أمامنا الآن إلا الاكتتاب فى مشروعات صناعية مفتوحة للجمهور ويدخل فيها التعاون المشترك مع دول أكثر منا تقدما ولا سيما تركيا وماليزيا . لكن المهم هو أن نستعد نفسيا للخروج من الحالة الثالثة وهذا يتطلب أن يفهم كل منا حقائق الحياة الجديدة . أولا لا معنى للانتظار القدرى عند أغلب الشباب فهم يبحثون ليل نهار عن وظائف جاهزة وببساطة لا يوجد عدد وظائف يستوعب هذا العدد الهائل من الخريجين . القطاع الخاص ليس ملزما بتوظيف الشباب والحكومة مثقلة ولا تحتاج إلى عمالة إضافية أكثر من 6 مليون يعملون بها حاليا الشباب الذى تعود على التعليم بالملعقة يجب أن يعلم أنه لا توجد وظائف بالملعقة لابد أن يفهم أن عدد الوظائف المتاحة محدود جدا والتنافس شديد جدا والمواصفات المطلوبة من مهارات وقدرات عالية جدا . فماذا يفعل الشباب؟ لابد أن يتجمع مجموعات صغيرة من الشباب ليفكروا معا فى إجابة أصعب سؤال ماذا نعمل بعد

What to do next علما بأن أحدا لن يمد يد العون كل يحمل هم نفسه Everyone on his own فهذه أول قواعد النظام الرأسمالى . ثانيا على الكل أن يدرك أن الرخاء والتقدم لن يتحقق على مستوى الدولة وبالتالي لن ينعكس على مستوى الفرد إلا إذا تحقق إنتاج حقيقى ذو جودة عالية تصلح للتنافس العالمى وإلا فلن يتحقق الرخاء من تلقاء نفسه . ثالثا على الكل أن يدرك قصة البيضة والدجاجة أيهما أولا . لن يزداد دخل الناس إلا إذا زاد إنتاجهم وتحسن . رابعا أن على كل من يعمل عملا أن يتقنه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما يحثنا ديننا الحنيف وليست البراعة فى خداع النظام بحيث نأخذ مرتبا ولا نعمل به لأنه مرتب هزيل . من رآه هزيلا فليتركه . خامسا على الكل أن يدرك أن حالة الإحباط السائدة لن تجدى نفعا وستدمر أمل الأجيال الجديدة فى المستقبل ومن ثم فلا بد من ثقافة الأمل والإرادة والانطلاق .